الأجناس الأدبية في الأدب المقارن:

هي واحدة من المواد الأدبية التي تتخذ موضع تأثير وتأثر، فتنتقل من أدب إلى أدب آخر، لهذا وجدت العناية من الدارسين المقارنين، وهو موضوع مشترك بين النقد ونظرية الأدب والأدب المقارن، ولكل منهجه في ذلك

1-الأجناس الأدبية Genres littéraire:

كان أرسطو أول من تحدد عن التقسيمات الأجناسية للأدب، بتقسيمه للشعر إلى ثلاثة أشكال: ملحمي ودرامي وغنائي، وبقي هذا التقسيم سارية المفعول إلى العصر الوسيط ، ثم النقد الحديث، لكن قبل هذا وجب الإشارة إلى طريقة تحديد قواعد الجنس الأدبي، والسائد أن يتخذ في هذا سبيلين:« **تنطلق من مواصفات وجدت في عمل أدبي شهير، مثل إلياذة هوميروس، أو رواية الحمار الذهبي لأبوليوس، أو رواية دون كيخوتي لثربانتس، أو: مسرحيات شكسبير، أو قصائد بودلير...**»[1]، ويبدو هذا المنهج منحازا إلى الروائع الأدبية والأوروبية على وجه التحديد، وهذا يفقد نظرية الجنس الأدبي الكثير من مصداقيتها، لان النصوص فيه محدودة ولا تغطي طاقة الجنس ككل.

أما الطريقة الثانية فتعتمد على :«**قراءة نصية شاملة للأنواع الأدبية، قبل استخراج الخصائص المتعالية للنوع من نصوص فعلية**»[2]، وكلما كثرت النصوص وتنوعت ازدادت الفرضية قوة، وتبدو هذا الافتراض أقرب إلى روح الجنس لأنه يمسح أكبر عدد من النصوص المتشابهة من مختلف الثقافات واللغات، واستخراج قوانين الجنس الأدبي الأكيدة، والموحدة بين نصوص جيدة.

2-الجنس الأدبي والنقد:

أ-بوالو: صدر كتاب "فن الشعر" لبوالو عام 1674، وتعرض في القصيدة الثانية والثالثة للأنواع الأدبية، وناقش شعريا المأساة والملحمة والكوميديا، والقصيدة الريفية والغنائية والسونت والقصيدة الهجائية والبالاد La ballade والروندو Le rondeau والأهجية والفودفيل.

ب- كروتشيه :يميز بين الصور والتصورات، في تطرقه لنظرية المحاكاة في قوله بأن الفن تقليد للطبيعة قبل أن يميز بين نوعين هما"الشعر والنثر" بقوله:«

1 -المناصرة(عز الدين): الأجناس الأدبية في ضوء الشعريات المقارنة-قراءة مونتاجية-دار الراية للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط1 2010، ص8.

- المرجع نفسه، ص 2.8

الشعر لغة الشعور، والنثر لغة العقل»[1]، دون نفي الجانب الشعوري في النثر، إلا انه يوسع ميدان الجنس الأدبي، ولا يجعله مقصورا على الأشكال الثابتة المعروفة.

ج-هيجل:يصنف الأنواع الأدبية إلى ثلاثة: الأدب القصصي وهو المصور الموضوعي للعالم، الشعر الغنائي ويصور العالم الداخلي، والدرامي ويربط بين النوعين السابقين.

د- لوكاتش: يرى الرواية الشكل الأدبي الأكثر دلالة على المجتمع البرجوازي، فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بثقافة العصر، ويتولد شكل الرواية من تدهور السرد في العصر الوسيط.

3- الجنس الأدبي والأدب المقارن:

حازت الأجناس الأدبية اهتمام مجمل المقارنين من المدرسة الفرنسية، فقد ركزوا على تقسيم الأجناس، غير أن أصل التسمية يوحي بالعلوم الحيوية، وبنظرية تشارلز روبرت دارون (1809-1882) العالم البريطاني التي ضمّنها كتابه الشهير "في أصل الأنواع" On the Origin of Species في تطور الأجناس، فهو يرى الأجناس الأدبية كالكائنات الحية تولد وتنمو وتتطور وتضعف حسب قوانين معينة من العلاقات، وهذا ما أكده برونتيير Brintièreفي كتابه تطور الأجناس في تاريخ الأدب"، وهو أبرز من استلهم هذه النظرية، حيث حاول نقل المفاهيم البيولوجية الصرفة من داروبين إلى الأدب ورأى بعد هذا أن الأجناس الأدبية لها وجود واقعي كالأجناس البيولوجية، وهكذا كان يقارن بين تاريخ الأجناس الأدبية وتطور الكائنات الحية، وهو يشبه تاريخ الأجناس الأدبية بالصراع من أجل البقاء، لهذا تظهر أجناس وتختفي أخرى، وقد أثبتت هذه النظرية فاعليتها على ما فيها من قصور.

أما بول فان تيغمP V Tieghem فكان له لا يختلف كثيرا عما جاء بيه برونتيير[2]، حيث يرى للأجناس الأدبية وجود مستقل، حيث ينفرد كل جنس بميزات وخصائص دون غيره من الأجناس، ثم يرى للجنس زمانه الخاص الذي يولد فيه وينمو ثم يموت فيه لينشأ جنس آخر فالأجناس تتوالد من بعضها كالحيوانات، ويظهر واضحا أثر داروين في أفكار فان تيغم وغيره من المقارنين التاريخيين، ويقسم فان تيغم الأجناس الأدبية إلى أنواع كبرى: الملحمة والمأساة والرواية والملهاة وأنواع صغرى: الرعوية والأود والروندو والماديفال والبالاد والابيغرام، وأنواع مختلطة: الملهاة المأساوية والدراما الرعوية[3].

---

1 -المناصرة(عز الدين): الأجناس الأدبية في ضوء الشعريات المقارنة، ص 14.

2 تيغم.(بول فان): الأدب المقارن، تع سامي مصباح الحسامي، المكتبة العصرية. بيروت، ص 64-66

3 - المناصرة(عز الدين): الأجناس الأدبية في ضوء الشعريات المقارنة، ص 17.

ويقترح ماريوس فرنسوا غويار طريقة لدراسة الأجناس، كما جاء في كتابه الأدب المقارن[1]:
فأولا يجب تحديد جنس العمل الأدبي، في ضوء أسلوبه وتقنياته وعناصر بنائه الفني. وثانيا يجب إثبات التأثير تاريخياً، وهو قد يكون مباشراً أو غير مباشر، وتتطلب هذه الخطوة من الباحث المقارن جهداً كبيراً إن لم يكن الأديب المتأثر قد صرح بعلاقته بالمؤثر، وثالثا وجوب دراسة مدى التأثر وحركته وتجلياته في النص، وما إذا كانت ملامح النص المؤثر واضحة، وحضوره بارزاً في النص المتأثر أم عمد الكاتب إلى إخفاء ذلك بطريقة إبداعية.
وهنا سيكون للبعد التاريخي في رصد العلاقات ما بين الأجناس المختلفة الأولوية في التناول النقدي، وتكون هذه العلاقات مشروطةً باختلاف الآداب التي تنتمي إليها النصوص المدروسة، فضلاً عن واقعية الصلة ما بينها، وثبوتها تاريخياً.

أما أوستن وارن ممثلة المدرسة الأمريكية في الأدب فيرى للجنس تعريفا آخر:« **النوع الأدبي (مؤسسة) ....كما يضيف وارين- إلى طمس التمييز بين النثر والشعر، وبعدها تقسم الأدب الخيالي إلى فنون التخييل(الرواية، القصة القصيرة، والملحمة)، والمسرحية(نثرا وشعرا)، والشعر**»[2]، فالجنس الأدبي عنده كالمؤسسة التربوية أو الدينية مبدأ تنظيمي فقط، في حين ينتقد البحث عن الفوارق بين الأجناس ويرى هذا غير مهم، بل يؤيد البحث في المشتركات بين الأجناس الأدبية، وهو ضد مبدأ نقاء الجنس، وتزداد هذه الرؤية وضوحا مع رنييه ولييك في كتابه مفاهيم نقدية، عبر عن أن التمييز بين الأجناس لم يعد مهما لأن:« **الحدود بينها تعبر باستمرار، والأنواع تخلط أو تمزج، والقديم منها يترك أو يحور، وتخلق أنواع جديدة إلى حد صار معها المفهوم نفسه، موضع شك**»[3]، ثم يستدرك ويعود إلى أن الأجناس مهما تداخلت لا بد من مبدأ ينظمها وهو نظرية الأجناس، ولا بد من جنس يفرض نفسه دون غيره على النص الابداعي.

أما عند العرب، فقد أفرد غنيمي هلال بعض من فصول كتبه للحديث عن الأجناس الأدبية، كما في كتابه" الأدب المقارن"، فيحيط بأغلب جوانبها، ويشير إلى أن نشأة الأجناس الأدبية ظاهرة طبيعية في الآداب، لكن تطورها يحتاج إلى الآداب الأخرى، فهي غير ثابتة في حركة مستمرة، كما هي القصيدة العربية التي نشأة بشكل طبيعي في الأدب العربي، لكنها في تطورها في العصر الحديث احتاجت إلى التواصل مع الآداب الأوروبية، أي إلى حركية التأثير والتأثر، وهناك من الأجناس ما ينتقل إلى الآداب عبر اتصالها بغيرها كما المسرحية والقصة في الأدب العربي.

---

1 غويار(ماريوس فرانسوا): الأدب المقارن، تر: زعيب(هنري)، منشورات عويدات بيروت لبنان،

- المناصرة(عز الدين): الأجناس الأدبية في ضوء الشعريات المقارنة، ص 2.21

-ولييك(رينييه): مفاهيم نقدية، تر: عصفور(جابر)، سلسلة عالم المعرفة الكويت 1987، ص3.376

اجتهدت مختلف اتجاهات النقد منذ أرسطو، في إحاطتها بمفهوم الأجناس، وقد توغل النقد في هذه الإشكالية الشائكة، بالمراجعة والتمحيص، أما غنيمي هلال فيعرفها بـ:«**بالأجناس الأدبية القوالب الفنية العامة التي تفرض على الشعراء والكتاب مجموعة من القواعد الفنية الخاصة، بكل قالب على حدا. فقد يعالج موضوع واحد في قصيدة غنائية، وفي قصة، وفي مسرحية، وفي مقالة، أو خطبة... ولا شك أن طريقة معالجته ستختلف بالضرورة من الناحية الفنية على حسب كل جنس من الأجناس الأدبية حين يختاره الكاتب والشاعر**»[1] ، وهو يجعل الأجناس تحمل معنى القوالب الفنية الصارمة القواعد، مع مميزات كل جنس عن الآخر، ولكن تعريفه للأجناس مستوحا من المدرسة التاريخية التي تتلمذ عليها فهو يقول:« **الأجناس الأدبية كالأجناس الحيوية، لها في ذاتها، وجود زمني ومكاني ولها نشوء وارتقاء على حسب العصر وحاجاته، ثم هي تتعرض للموت كالأجناس الحيوية**» [2]، فهو هنا لا يحيد عن مقولة فان تيغم وبرونتيير بتأكيده على أن الأجناس الأدبية كالكائنات الحية، تولد وتنمو وفق شروط معينة ذات علاقة بالعصر وتطوراته، وتموت لتولد أجناس أخرى، لهذا على الباحث السعي لإدراك حياة هذه الأشكال واستخراج ثوابت الشكل الواحد ومتغيراته.

من هذا نتوصل إلى أن ما يعنى به الأدب المقارن من الأجناس الأدبية، هو التطور التاريخي القومي لها، فيدرس السلسلة غير المحدودة من الآثار المتشابهة وقواعد الشكل والبنية، التي تتحكم في اختيار الموضوع والنبرة والأسلوب، لذا ويجب على دارس هذه النصوص في ضوء مناهج دراسة مقارنة، أن تكون لديه معرفة دقيقة بخصائص الأجناس الفنية ومزاياها النوعية الفارقة، لكي يتمكن قبل كل شيء من تحديد الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص أو النصوص المراد دراستها، ويتطلب الأمر متابعة حريصة من الباحث، لما يستجد في هذا المجال من ظواهر فنية أو أشكال إبداعية، مثال ذلك التداخل الفني الحاصل ما بين الأجناس الأدبية المختلفة، إذ أفاد الشعر مثلاً من تقنيات السرد والدراما والسينما والفن التشكيلي وغيرها في تطوير القصيدة، وكذا الأمر مع السرد في تطوير لغته و تقنياته، أو ظهور ما سمي بـ(النص المفتوح) الذي يحمل خصائص مشتركة هجينة لا يمكن في ضوئها وضْعُ هذا النص تحت مظلة جنس أدبي محدد.

إن ما يمكن إضافته ضمن هذا المجال في ضوء التوسعة المنهجية لدراسة الأجناس في الأدب المقارن خاصة ما اقترحته المدرسة النقدية، هو دراسة أشكال التأثير المتبادل بين الأجناس الأدبية أو بين الأدب والفنون المختلفة، وكذلك حين

---

1 -غنيمي هلال(محمد): دور الادب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، نهضة مصر للنشر والتوزيع القاهرة مصر، ص 42.

- المرجع نفسه، ص 2.43

تدرس علاقة الأدب أو أحد أجناسه بمقولات علم النفس أو ببعض المفاهيم الفلسفية، أو المقارنة ما بين معالجة الأدب لمشكلة إنسانية ما ومعالجة علم الاجتماع للمشكلة ذاتها، وهو ما يعني خروج الدراسات المقارنة عن حدود الدراسة التاريخية المقارنة التي تصدر عن متابعة اتجاهي العلاقات الأدبية بين الآداب المختلفة تأثيراً وتأثراً، لتصبح المقارنة ممكنة ما بين الآداب والفنون الأخرى ضمن ميادين الأدب المقارن، عبر دراسة إفادة كل طرف من الآخر.

وقد أضافت هذه التوسعة المنهجية إلى عدة الباحث المقارن مستلزمات جديدة، لعل من أهمها : أن يحرص الباحث المقارن على إثراء ثقافته ومعرفته بمختلف المعارف والعلوم والفنون، إذ تتطلب دراسة العلاقة ما بين الشعر والفن التشكيلي أو السينمائي مثلاً معرفةً دقيقةً وواسعةً بجماليات هذين الفنين وتقنياتهما، و الخصائص المشتركة، التي تيسر التبادل ما بينهما. وعليه أن يكون قريباً جداً من التطورات الحاصلة في مناهج النقد الأدبي الحديث ومستوعباً لها، ليجدد أدواته النقدية في قراءة النصوص والكشف عن جمالياتها، ومستويات أبنيتها الداخلية. فعلى سبيل المثال يسعى الأديب عبر الإفادة من علاقات التجاور والتحاور ما بين الفنون والأجناس الأدبية المختلفة بعامة، وما بين الشعر والفن التشكيلي بخاصة إلى خلق مناخ تشكيلي يراعى فيه البعد المكاني للمفردة والحرص في توزيع المفردة اللونية بطريقة تحقق إثراءً لدلالة النص بأكمله، ولا يتم ذلك إلا من خلال فهم جماليات الفن التشكيلي والعلاقات التي تربط عناصره ببعضها، وهو ما لا يشترط في الفن التشكيلي فحسب، بل وفي الفنون والأجناس الأدبية الأخرى. ومن هذه الدقة في التعامل مع العنصر التشكيلي يجب على الأديب أن يشرع في إفادته من تقنيات هذا الفن في نصه الأدبي، وعلى الناقد المقارن أن يكشف عن تقنيات التوظيف وآلياته التي حققها التداخل ما بين الفنين المختلفين.

من الأمور التي تهم المقارن كذلك الترجمات الثقافية وحاجات الفكر الإنساني المنتجة لأشكال فنية بعينها، عبقرية الكتاب الخاصة، وأذواق الجمهور، ونجاح جنس أدبي في بيئة دون أخرى، وانسجامه مع ظروف معينة، وموضوعات دون غيرها، والتنبؤ بالتطور التاريخي المستقبلي.

الأدب المقارن سنة ثالثة